نـافـذة

«الشامية» وليس «السامية»

في دراسة التاريخ العربي القديم، مازالت هناك إشكالات عدة، لم يجد لها علماء التاريخ مخرجاً، أو مصطلحاً يتفق عليه، ما يستدعي إعادة النظر في كثير من الآراء والتعريفات والاجتهادات التي تتفق مع العقل والمنطق والمنهج النقدي.. فعلى سبيل المثال، وعلى الرغم من النقد الشديد الذي وجه إلى النظرية السامية، ما زلنا نستخدم في كتاباتنا وكتب التاريخ القديم مصطلح «السامية» الذي أصبح استخدامه «طبيعياً» في المؤلفات التاريخية، مع معرفتنا أن لهذه التسمية مدلولاً عنصرياً وعرقياً خرج من التوراة، وأن لهذه التسمية وظيفة سياسية سخرتها الصهيونية العالمية لخدمة مآربها الاستيطانية المغرضة.

في حديث مع الدكتور محمد محفل، أستاذ التاريخ القديم قال: «لاشك أن هذا المصطلح خاطئ، كما أنه عمم خطأ، وقد أخذ عن التوراة، من سفر التكوين، واعتمد مفهومه على أن الأقوام ككل تفرعت من إنسان واحد، ومعظم الأسماء التي ترد في تاريخ الهلال الخصيب لا تحمل مدلولاً عرقياً أو عنصرياً، بمعنى لا تعود إلى شخص أو قوم، واسم كنعان أو آرام أو آشور وحتى سام هي أسماء لها ارتباط بالبيئة والأرض والذهنية وربما تحمل طابعاً مقدساً.. والعلم يرفض هذا التفكير البدائي البسيط».

حسب هذا الطرح أضحت اللغة العبرية، أم اللغات المحلية القديمة، وهذا خطأ مقصود وكبير، لأن العبرية هي فرع من الكنعانية الوسطى، والآرامية جاءت متطورة أكثر من الكنعانية، وقواعد الآرامية قريبة جداً من قواعد اللغة العربية، حول هذا يقول الدكتور محفل، لقد ثبت أنه لا وجود للغة العبرية، والتوراة ذكرت ذلك.. ذكرت أنهم تكلموا «شفة كنعان» لذلك كل لغاتنا القديمة يجب أن ندرسها انطلاقاً من اللغة العربية، التي جبت كل ما قبلها واحتوت الأكادية والبابلية والآشورية والكنعانية والآرامية، وكل من يبحث في هذا المجال عليه العودة إلى الأصل، إلى التراث اللغوي لبلاد الشام وبلاد الرافدين..

مصطلح «السامية» يقود إلى القول إن الكتابات العبرية هي أصل كتاباتنا القديمة، وهذا الطرح دحضه العلماء ولم يقبلوا به، لأنه لا وجود لشيء اسمه الكتابات العبرية، التي هي قبل كل شيء مشتقة من الحرف الآرامي المربع، وهذا مصطلح علمي متعارف عليه في جميع المراكز العلمية الأكاديمية، وهذا الحرف الآرامي بدأ يتطور في القرن الثالث قبل الميلاد. التوراة وضع نقلاً عن لف يوناني من القرن الثالث قبل الميلاد، والذي بين أيدينا الآن هو النسخة السبعينية التي ثبتت نهائياً في القرن الرابع الميلادي، وهو يتحدث عن أقوام يعود تاريخ وجودها إلى ما قبل هذا بنحو ثلاثة آلاف سنة، ونحن لدينا نصوص كتابية يعود تاريخها إلى الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، اكتشفت في «إيبلا وماري وأوغاريت وبابل..» فكيف تكون العبرية هي الأصل، ونحن الأقدم منها بآلاف السنين؟!

الدكتور محفل، في أكثر من حديث، طرح مصطلح «الشامية» بدلاً من «السامية» ولهذا الطرح براهينه، فالشام لا يعني اسم «عنصر» أو «عرق».. إنه نابع من البيئة، كما أن إقلاب السين إلى شين وارد في لغاتنا المحلية القديمة سواء الأكادية أو البابلية أو الآرامية أو الآشورية أو الكنعانية، فنحن حين نقول «عسرة» فهي «عشرة» و«شمش» فهي «شمس» و«بيت شان» هي «بيسان».. والمنطق والعقل يجعلاننا نميل وننجذب إلى تسمية «شام» وليس سام، وإلى الهجرات الشامية وليس السامية.. ألم ينتقل المناذرة والغساسنة وكندة، وهم من اليمن بالأصل، نحو الشمال؟ وهناك نظريات معاكسة وهذا الأمر يحتاج إلى تحديد الفترة الزمنية، ولدينا في سورية مواقع يعود تاريخها إلى عصور ما قبل التاريخ شكلت مناطق هجرات عدة عبر فترات متباعدة ربما تكون قد شكلت مراحل متقدمة من التطور الحضاري في المنطقة العربية، وهذا يحتاج إلى دراسات مستفيضة لتحديد من كان موقعه المنطلق والمركز الحضاري الأول، مع العلم أن هناك من يرجح أن حركة الهجرات كانت منذ القديم، حركة جولات مستمرة بين الجزيرة الشامية والجزيرة العربية.

د. علي القيم

القدر اختارني لأكون مطرباً

خلدون حناوي لـ«الوطن»: متى يكون هناك اهتمام بالمطرب كما هو الاهتمام بالممثل؟

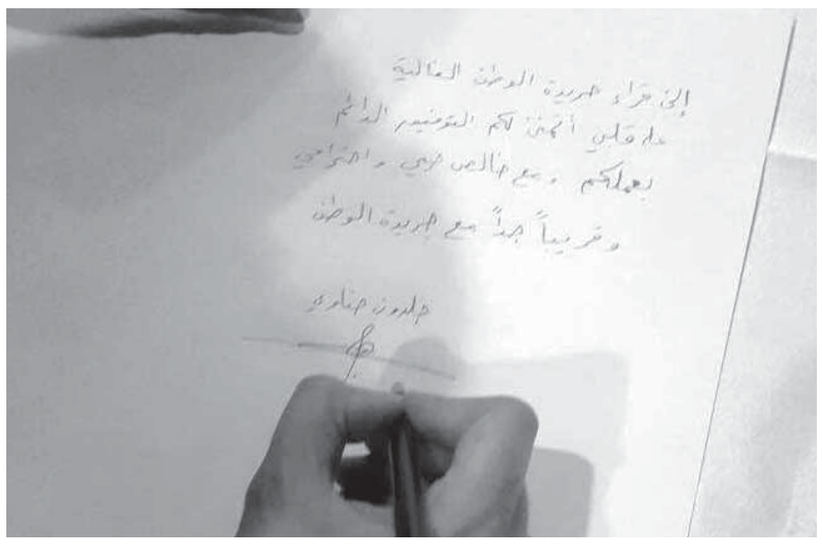

عامر فؤاد عامر

أحد أهمّ الأصوات السوريّة التي تحمل سحراً وتأثيراً على كلّ من يسمعها، شارك في أهمّ المهرجانات العربيّة والدوليّة كقرطاج، وجرش، والمحبّة والسلام، وغيرها، نال الجائزة الذهبيّة في مهرجان الدار البيضاء للأغنيّة العربيّة، عن أفضل أغنية «نداء الشروق» عام ٢٠١٠ وليحصد الجائزة الكبرى في مهرجان الأغنية العربيّة في الإسكندرية، كأفضل صوت عربي في العام نفسه وأغنية «لا تكبري»، وهو عضو في فرقة (شيوخ وسلاطين الطرب) وعضو في أوركسترا «طرب» بقيادة المايسترو «ماجد سراي الدين» ولديه العديد من الأغاني الخاصّة، والمصوّرة، وأرشيف كبير، وغني، من الحفلات، والمشاركات الفنيّة محلياً وعربياً، وشهادات من كبار مطربي الوطن العربي كـ«صباح فخري» و«ميادة الحناوي»، و«أمين خياط»، وغيرهم، واليوم في حديث خاصّ لـ«الوطن» يبوح الفنان «خلدون حناوي» لمحبيّه بتفاصيل عن حياته، وعن خطواته الجديدة، وأوجاعه في مسيرته الفنيّة، فكان هذا الحوار.

قدر المهنة

بين اختيار الشخص للمهنة واختيار القدر المهنة للشخص فارق كبير، فأين الفنان «خلدون حناوي» من هذه المعادلة، والإجابة التالية ستوضّح مدى انطباق هذه المعادلة في حياته وأيّ طرفيها هو المنطبق عليه: «أعتقد أن القدر هو من اختارني لهذه المهنة، فمنذ صغري كان لدي رغبة المشاركة في مسابقات الغناء على مستوى الصف والمدرسة، والتي جاءت بسبب تأثري بوالديّ اللذين كانا متابعين للأفلام العربيّة القديمة، وهذا الأمر جعلني أنسجم كثيراً مع الأصوات الغنائيّة التي كانت تبثها هذه الأفلام، فتعلّمت منها، ولاسيّما أنّ والدتي كانت تردد في البيت هذه الأغاني، وهي تمتلك صوتاً جميلاً، فتأثّرت بها، وهذا الشيء منحني قوّة وتشجيعاً نما داخلي لأكون فيما بعد أحد مشاركي البرنامج المعروف «طريق النجوم» عام ١٩٩٠ فشاركت فيه، ونلت المركز الأوّل على الهواة، وهنا حافظت على موهبتي طوال تلك السنوات، وبالتالي القدر هو من ساقني لأصل إلى توافق مع هذه المهنة كمطرب استمر إلى يومنا هذا».

البيئة بين الماضي والحاضر

تؤثر البيئة في نشوء الفنان، وتكوينه، وطريقة التعبير عن فنّه، ولـ«خلدون الحناوي» نشوء في بيئة أصيلة وانتقال إلى بيئة عريقة والكثير من التجارب داخل وخارج سورية، وعن هذه النقطة كانت تعليقاته: «لدي عقليّة شرقيّة ما زالت موجودة لدي، فأنا شديد الحرص على أسراري الشخصيّة، وهذا الموضوع أعزوه لمدى تأثري بالبيئة التي نشأت فيها، ومدينة إدلب – التي ولدت فيها – بالتحديد لديها خصوصيّة مختلفة عن غيرها من المدن، فهي لا تحمل معالم المدينة الصاخبة، وفيها حالة من الهدوء، والطبيعيّة، وهذه البيئة منحتني طيبة مختلفة عن أبناء المدينة الصاخبة أو الضاجّة بالعمل، والسهر، والحركة التي لا تنتهي، أمّا عن تأثير البيئة في الصوت، فالاعتقاد السائد أن منطقة حلب وإدلب يمتاز أهلها بالأصوات القويّة الجميلة التي تؤدي أصعب أنواع القدود، هو اعتقاد حقيقي، فهذه المنطقة فيها المزيد من الأصوات النادرة، ولربما السبب هو زيت الزيتون الذي يدخل عنصراً حقيقياً في غذاء كلّ أسرة تقطن في هذه المنطقة، إضافة لنظافة الهواء ونقاء الجو اللذين يؤثران في صفاء الحياة وبساطتها، أمّا بعد انتقالي للعيش في مدينة دمشق فيبدو أن عشقاً خفيّاً نما داخلي، وكان بين حبّي للغناء الطربي الأصيل، وجمال المدينة القديمة، فكان هناك توافق صادق بين هذين الأمرين وحافظت على هذه الذكرى إلى اليوم».**

مزيد من التجارب

بعد تجارب متعددة بُنيت الشخصيّة الفنيّة لـ«خلدون حناوي» فلديه مسيرة شاقة بين عدد كبير من المشاركات الفنيّة في مهرجانات محليّة وعربيّة، ومسابقات داخليّة وعربيّة، وحفلات طربيّة، وتسجيلات إذاعيّة، وبرامج تلفزيونية حل ضيفاً عليها، ولقاءات مصوّرة، وغيرها الكثير من التجارب، وعن هذه الرحلة الطويلة يقول: «أعتقد أن الذي منحني مساحتي كحالة فنيّة، وبنى لي مساراً واضحاً في الحياة الفنيّة، هو المسابقات التي شاركت فيها، وحصدت من خلالها أرفع الجوائز في الغناء على مستوى الوطن العربي، فكانت مشاركتي في مهرجانات غنائيّة كبيرة في المغرب ومصر ونلت فيها الجائزة الأولى والمركز الأوّل، بالتالي هذا حمّلني مسؤوليّة حافظت داخلياً عليها بحبّ، فكان لي مشاركات في مهرجانات دوليّة في معظم البلدان العربيّة، إضافة إلى شهادة الكبار بي التي أعتز فيها كشهادة الفنانة القديرة «ميادة حناوي» والفنان «أمين خيّاط»، و«عثمان حناوي»، ومما أعتز به أيضاً إحرازي الميداليّة الذهبيّة من «رتيبة الحفني» وبرنامجها هذه ليلتي في العام ٢٠٠٣، إضافة لشهادة الكثير من الكبار في عالم الفنّ والغناء، في عام ٢٠٠٣ التزمت بعقد احتكاري مع شركة إنتاج، قدّمت لي ألبوماً واحداً خلال ٧ سنوات فقط، إضافة للمشاركة الدوريّة في حفلات دار الأوبرا السوريّة مع أوركسترا «طرب» بقيادة المايسترو «ماجد سراي الدين»، كلّ ذلك زادني ثقة، وقوّة، ورغبة كبيرة في المحافظة على خطّي، والتطلع لتقديم الأفضل فيه».

> بعد قبولي في أحد البرامج الغنائية تم منعي لأنني مقيم في سورية!

إعلام وظيفي وإعلام يتحكم

للإعلام دور رئيس في ترويج الفنان ووصوله لقلوب مستمعيه، ولكن للإعلام المحلي نمطيّة خاصّة في بلدنا جعلت من الفنان السوري يحمل عبئاً ومسؤوليّة كبيرة، وهذا ما سنلمسه في عتب الفنان «خلدون حناوي» الآتي: «أتمنى ألا يكتفي الإعلام الوطني بذكر عبارة فوز خلدون حناوي بجائزة كذا وكذا على شريط الأخبار أسفل الشاشة، وألا تكون وظيفة يؤديها وفقط، فهناك تقصير واضح في التعامل مع المادّة الإعلاميّة الفنيّة، بالتالي يحفزنا هذا الأسلوب المُتّبع بأن نلجأ أنا وغيري من الفنانين للبحث عن أنفسنا من جديد في برامج خارج حدود الوطن، لنتعرض للكثير من الشروط التي لا تخطر على البال، ومؤخراً قدّمت نفسي كهاو لبرنامج أحلى صوت المعروف «the voice» وفي الحقيقة تمّ قبولي، وتجاوزت الامتحان بنجاح، وانتظرت خبراً منهم لتصوير مرحلة جديدة من البرنامج، إلا أن قراراً جديداً من إدارة المحطة «MBC» يصدر بحقّي كسوري مقيم على الأرض السوريّة بالرفض في المشاركة، وهذا ما حصل مع كلّ السوريين المقبولين في البرنامج كمشاركين، والشرط هو أن تكون سورياً مقيماً خارج البلد وليس داخل البلد! وسؤالي هنا لو أن إعلامنا فعّال ويحتل مكانته عربياً فهل كنّا سنتعرض لمثل هذا الموقف؟ بالتأكيد لا، ولذلك ألوم وأعتب على إعلامنا، فالفنان السوري اليوم يتعرض لمواقف يواجهها في الخارج ويقف مكتوف الأيدي لا وسيلة له للردّ، وفي الوقت نفسه لا يمكن للإمكانيات داخل بلده أن تحتويه، فالمعادلة صعبة جداً وفي كلا الحالين هناك معاناة للأسف». أمّا عن جديده للمرحلة القادمة فقد عرفنا بخبر مشاركة جديدة للفنان خلدون حناوي من خلال برنامج جديد يشرف عليه الفنان «محمد عبدو» الذي حرص على انتقال الأصوات الجميلة من كلّ أنحاء الوطن العربي من دون مواقف سياسيّة وخلفيّات مسبّقة، وتجري ترتيبات هذا البرنامج الذي لم يعلن عنه بعد بصورة واضحة.

مئات الأغاني

في تجربة الأغاني والرصيد المتراكم كان لنا تعريج على هذا الموضوع، فيقول «خلدون حناوي» إن رصيده أصبح كبيراً لدرجة أنه لا يعرف العدد الذي وصل إليه: «لقد أخذت ألحاناً من أهمّ مطربي الوطن العربي، لكن بسبب تقصير شركة الإنتاج في عملها لم تتمّ الخطوات التي كنت أسعى إليها، فقد أخذت ألحاناً من «صلاح الشرنوبي»، و«نور الملاح»، و«شاكر الموجي»، و«مازن الأيّوبي»، وغيرهم الكثير، ولكن شركة الإنتاج إن لم تتبنّ عملها بطريقة صحيحة لتصل بالفنان الذي تعمل معه نحو الهدف الحقيقي، فلن يكون هناك أدنى نجاح، حتى لو امتلك ألحان عبد الوهاب بعينه، فكانت الحصيلة النهائيّة وعبر سبع سنوات ألبوماً غنائياً يتيماً، مؤلفاً من ٨ أغان، و٣ أغان مفردة فقط، وفي رصيدي أيضاً بعيداً عن شركة الإنتاج، والموجود في أرشيف الإذاعة والتلفزيون المئات من الأغاني، فعلى مدار السنوات السابقة تراكمت الأغنيات، وهناك عدد كبير من الأغاني، التي نسيت قسماً منها اليوم بسبب أن نظام تسجيل الأغاني هذا لديه نمطيّة خاصّة، وهو بمعنى أنّنا كمطربين سوريين نذهب بصورة دوريّة لتسجيل أغنية جديدة بين كلّ فترة وأخرى، فيضعونها في الأرشيف، ونرحل، ولا يعاد بثّها، أو من الممكن بثّها مرّة أو اثنتين، وتنسى وتهمل مع مرور الوقت، وهكذا». أمّا عن الأغنية الوطنية الخاصّة به كفنان فيضيف: **«لدي مجموعة من الأغاني الوطنيّة، وأغلبها من ألحان الأستاذ «أمين خيّاط» ومن كلمات «عصام جنيد» وغيرها جاء من ألحان «يوسف العلي»، وفي كلّ حفلاتي أغني هذه الأغنيات التي أرى تأثيرها مباشرة في المتلقي، فقد أحبّها الناس وتأثروا بها، وهذا اللون يحبّه الجمهور ويتحمس له كثيراً، لأنه بالأساس مبنيّ على محبّة الوطن، وعموماً أنا شخصياً لا أحبّ التملق، ولا المزايدة، وأحبّ الكلمات التي تلامس الروح، وتحاكي الوطن، وسورية بالتحديد».**

إلى أين؟

بعد سنوات وسنوات من التعب والسعي هل من الممكن للفنان «خلدون حناوي» أن يقف صامتاً أم سيبقى لديه رغبة وأمل في البحث عن نفسه لإيجاد فرصة تستحق تكريمه وانتشاره، وحول هذه الفكرة كان ختام حوارنا معه: «اليوم أصبحت على عتبة الخوف، فهناك سنوات من العمر مرّت، وأنا في معمعة العمل، والبحث عن فرصة حقيقيّة، فالخوف هو من الدخول في سنوات جديدة لن تحمل أكثر من سابقتها، وعلى الرغم من ذلك؛ فأنا ما زلت أسعى متأمّلاً الخير، لكن التبنّي الفني لدينا غير موجود محلياً، وهذا الهمّ هو ما يشغل كلّ الفنانين السوريين، وأتمنى أن يكون هناك اهتمام أكثر بالفنان السوري المطرب، كما الاهتمام بالفنان الممثل، وبالدراما السوريّة، فلدينا أصوات مهمّة ونفخر بها عالمياً وتستحق أن يلقى الضوء عليها بما يليق».

الأرابيسك وأسرار المعاني الروحية للفن

ما وراء الظاهر للوصول إلى التجريد في ذهن المبدع للشكل

منير كيال

قامت على يد شعوب المنطقة حضارة امتدت على ربوع العالم القديم وكان لهذه الشعوب جذور تنطبع بطراز متميّز، أكان ذلك عند المعماريين والنساجين وصناع التحف المعدنية والخشبية والزجاجية وزخارفها، أم في تكفيتها (التنزيل) بمواد أو معادن ثمينة كالذهب والفضة، لكن ذلك ما لبث أن انطبع بالمعايير الإسلامية مع تمسك بالجذور والأصول المهنية.

وهكذا طلع علينا فن جديد بثوب جديد مطبوع بطابع البلاد الجديد، فن يكره الفراغ في أعماله وينبو عن رسم كل ذي روح، وقد تمخض عن هذا فن يعبّر عما يعتلج في صدور المبدعين مطبوع بطابع إسلامي، فن انعدم به البعد الثالث وانطبع بطابع الأشكال الهندسية والأزاهير والتوريق والخطوط الموزونة، وفق قواعد للرسم لا يمكن للصانع أو الفنان أن يتخطاها، لدرجة أن الانحراف بزاوية صغيرة يفسد العمل رأساً على عقب.

فالفنان يريد الحرية، لكن التديّن دفع بهذه الحرية إلى منحى يحمل في أعطافه الأبعاد الجمالية والقيم الروحية، فكان له أن يحلق ويبدع، دونما التقيد بأي شكل واقعي ملموس، يجرد بالأفكار ويبدع في رسوم نباتية وأشكال هندسية وزخارف كتابية يجسد فيها ما يدور في رأسه بتأنق وإبداع في تكوين جمالي يكره الفراغ، ويجنح إلى ملء مهاد العمل بسمفونية من صور شتى من التصاميم الدقيقة، أكان ذلك في التذهيب أم القاشاني أم في العمارة والنحت والحفر على الخشب والحجر والمعدن، في محاولة لتجسيد الجمال عن طريق الذهن وهذا ما اصطلح على تسميته بالأرابسك، وقد أعجب الأرابسك الفنانين الغربيين بزخارفه، وعلى الرغم من عدم فهمهم لأسرار المعاني الروحية للزخارف والكتابات العربية، فقد وجدوا بالحروف العربية الكثير من الصفات الزخرفية والشكلية والجمالية، فاستخدموا الخط العربي في تشكيل التصاميم الزخرفية للمنمنمات الحرفية والتحف والمعالم العمرانية وقطع الأثاث، وهذا الانجذاب إلى الكتابات العربية جعل الأوروبيين ينقلون تلك الكتابات، من دون معرفة ما تحمله من المعاني، فقد ذكر توماس أرلوند في كتابه تراث الإسلام:

إنه عثر في إيرلندا على صليب يعود إلى القرن التاسع عشر، وقد نقشت البسملة على زجاجة في وسطه بالحرف الكوفي، ما يدل على أن الصانع الناقش حين نقش تزيينات ذلك الصليب، كان جاهلاً الفكرة الرئيسية من ذلك النقش.

وهكذا فقط أطلقت كلمة أرابسك على كل عمل فني يضم تكوينات زخرفية تتشابك فيها العناصر الزخرفية، ولو كانت غير إسلامية، إذ يكفيها التشبه بما أبدعه العرب وقد ظلت فنون الأرابسك التي تمثلت بالزخارف وتطبيقاتها محافظة على مكانتها وأصالتها الفنية، ولم ينافسها أي من الفنون المعاصرة لها، وكان الفنان في هذه الفنون يرمز في أعماله إلى الطبيعة، ويقارب بين ما يجول بخاطره وبين الطبيعة، فالنزوع إلى التجريد برغبة جامحة تتوثب فيها الأفكار، وهكذا فإن التجريد في مضمونه إنما هو تجريد للطبيعة والحياة، وبالتالي فإن الأرابيسك ليس مجرد زخارف، إنه تزاوج بين الخط والأشكال المنسجمة والحيوان والنبات.. وهذا العالم من الأفكار أكثر من خطوط أنيقة موزونة، إنها تجريد للفنان عن أفكاره، ومشاعره في إبداع فني متكامل متوازن، وألوان تكاد تنقلك إلى عالم ذلك الفنان بما يعتلج في رأسه من أفكار، مترجمة على مهاد اللوحة.

وهكذا فقد أصبحت فنون الأرابيسك، سمة من السمات الفنية التي تمثلت في الزخارف وتطبيقاتها، أكان ذلك في مجال العمران، أم الصناعات التقليدية الفنية من نسيج وخزف وزجاج وأوانٍ وأدوات معدنية، وما جعل فن الأرابيسك يحافظ على نهجه ومكانته بل أصالته الفنية أيضاً، ولم ينافسه أي نهج من الفنون وكان الفنان في الأرابيسك لا يني يرمز إلى الطبيعة، أو يقارب بين ما يجول بخاطره وبين هذه الطبيعة، حتى لكأن التجريد عند هذا الفنان، رغبة جامحة تتوثب فيها الأفكار، فالتجريد والحال هذه عنده رغبة متأصلة لأنه تجريد للطبيعة والحياة، ذلك أن الأرابيسك ليس مجرد زخارف، إنه نوع من الخط والأشكال المنسجمة والدوائر والحيوان والنبات.. وهذا العالم من الأشكال أكثر من خطوط أنيقة موزونة. وعلى المرء أن يغوص إلى ما وراء الظاهر ليصل إلى التجريد الذي عناه المبدع للشكل أو الموضوع، والارتقاء بذلك إلى الحالة الصوفية للإيقاع الموقع وللإنشاء المتناغم.. إلى الخطوة التأملية التي تمخض عنها الشكل أو الموضوع.

وهنا الإطار الذهني للأرابسك قد يكون غريباً عن البعض الذين على غير حالة من التواصل مع الحالة الروحية التي يعيشها الفنان المبدع لعمل من أعمال الأرابسك هذه، وهذا بالطبع ما يبعد هؤلاء عن المعاني العميقة لهذا الفن.

فخيار الفنان المبدع للأرابسك للتجريد كان منسجماً مع الفكر الإسلامي الذي كان في ذلك الحين يبتعد عن تجسيد كل ذي روح في عمل فني.